

الفصل السادس

سريّة مُحَمَّد بنِ مَسْلَمَة ﷺ إلى ذي القِصَّة (١)

إلى بني ثعلبة وعوال

ربيع الآخر ٦٦هـ / أغسطس (آب) ٦٢٧م / توت ٣٤٤ قبطي

المبحث الأول

عرض سريّة مُحَمَّد بنِ مَسْلَمَة ﷺ إلى ذي القِصَّة

تاريخ السرية:

قال البيهقي: بعث النبي ﷺ مُحَمَّد بنِ مَسْلَمَة ﷺ في ربيع الأول سنة ست من قُدومه المدينة في عشرة نفر، فكمن القوم بهم حتى نام هو وأصحابه، فما شعروا إلا بالقوم، فقتل أصحاب مُحَمَّد بنِ مَسْلَمَة ﷺ، وأفلت مُحَمَّد ﷺ جريحاً. [دلائل النبوة للبيهقي ٨٣-٨٤].

أحداث السرية:

يقول أبو باشمیل: «ذو القِصَّة (بفتح القاف وتشديد الصاد) منزل من منازل بني ثعلبة من غطفان أعداء الرسول ﷺ الألداء، وتبعد عن المدينة أربعة وعشرون ميلاً. بعث النبي ﷺ إلى ذي القِصَّة بدورية استكشاف قوامها عشرة نفر بقيادة الفارس المشهور محمد بن مسلمة الأنصاري ﷺ.

وكانت عيون بني ثعلبة قد أبلغتهم بتحرك هذه الدورية نحوهم وأنها تقصد ديارهم فاستعدوا لها وكمنوا وأعدوا (للإحاطة بهم) مائة رجل.

فلما وصل ابن مسلمة ﷺ بدوريته إلى (ذو القِصَّة) لم يجد أحداً فاستراح بأصحابه فأخذهم النوم، ولم يشعر إلا بمائة من فرسان بني ثعلبة يحيطون بهم من كل جانب، فثار الصحابة ﷺ إلى سلاحهم وأخذوا يرامونهم بالنبل ولكن دون جدوى، فالكثرة تغلب الشجاعة كما يقولون.

فقد هجم المشركون على الصحابة ﷺ فأبادوهم عن بكرة أبيهم، أما قائد الدورية (محمد بن مسلمة) فقد وقع جريحاً فضربوا كعبه فلم يتحرك، فظنوه قد مات فتركوه بعد أن أخذوا كل خيلهم وأسلحتهم وحتى الثياب جرّدهم منها ثم انصرفوا.

غير أن رجلاً من المسلمين مر بابن مسلمة وأصحابه، فلما رآهم صرعى استرجع، فلما تأكد ابن مسلمة بأنه مسلم تحرك، وهنا حمله الرجل حتى ورد به المدينة، حيث عولج من جراحه حتى شفي».

[صلح الحديبية لباشمیل ٤١-٤٢].

(١) ذو القِصَّة: موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، وهو طريق الرَبْذة، كان يقطنه بنو ثعلبة وبنو عوال من ثعلبة. معجم البلدان ٣٦٦/٤.

قال الواقدي: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ ۞ فِي عَشْرَةٍ، فَوَرَدَ عَلَيْهِمْ لَيْلًا، فَكَمَنَ الْقَوْمُ حَتَّى نَامَ وَنَامَ أَصْحَابُهُ، فَأَحْدَقُوا بِهِ وَهُمْ مِائَةُ رَجُلٍ، فَمَا شَعَرَ الْقَوْمُ إِلَّا بِالنَّبْلِ قَدْ خَالَطَتْهُمْ، فَوَكَّبَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ ۞ وَعَلَيْهِ الْقَوْسُ فَصَاحَ بِأَصْحَابِهِ: السَّلَاحُ! فَوَكَّبَ فَنَامُوا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ حَمَلَتْ الْأَعْرَابُ بِالرِّمَاحِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ انْحَارَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ۞ إِلَيْهِ، فَقَتَلُوا مِنَ الْقَوْمِ رَجُلًا، ثُمَّ حَمَلَ الْقَوْمُ فَقَتَلُوا مَنْ بَقِيَ، وَوَقَعَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ ۞ جَرِيحًا، فَضْرَبَ كَعْبَةُ فَلَا يَتَحَرَّكُ وَجَرَدُوهُمْ مِنَ الثِّيَابِ وَأَنْطَلَقُوا، فَمَرَّ رَجُلٌ عَلَى الْقَتْلِ فَاسْتَرْجَعَ، فَلَمَّا سَمِعَهُ مُحَمَّدٌ ۞ تَحَرَّكَ لَهُ فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، فَعَرَضَ عَلَى مُحَمَّدٍ طَعَامًا وَشَرَابًا وَحَمَلَهُ حَتَّى وَرَدَ بِهِ الْمَدِينَةَ. فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا إِلَى مَصَارِعِهِمْ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا، وَاسْتَأْذَنَ نَعْمًا ثُمَّ رَجَعَ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: فَذَكَرْتُ هَذِهِ السَّرِيَّةَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُسْلِمَةَ فَقَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ ۞ خَرَجَ فِي عَشْرَةٍ نَفَرٍ: أَبُو نَائِلَةَ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، وَأَبُو عَبْسٍ بْنُ جَبْرِ، وَنُعْمَانُ بْنُ عَصْرِ، وَمُحْيِصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَحُوَيْصَةُ، وَأَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ، وَرَجُلَانِ مِنْ مَرْبِئَةَ، وَرَجُلٌ مِنْ عَطْفَانَ، فَقَتَلَ الْمَرْبِئَانِ وَالْعَطْفَانِيَّ، وَارْتَثَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ مِنَ الْقَتْلِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ خَيْبَرَ نَظَرْتُ إِلَى أَحَدِ النَّفَرِ الَّذِينَ كَانُوا وَلُوا صَرِي يَوْمَ ذِي الْقَصَصِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ: أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ! فَقُلْتُ: أَوَّلَى! [المغازي للواقدي ٢/ ٥٥١-٥٥٢].

مصادر ومراجع للدراسة:

أ - كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي: المغازي للواقدي (٢٠٧هـ) ٢/ ٥٥١-٥٥٢، الطبقات لابن سعد (٢٣٠هـ) ٢/ ٨١-٨٢، دلائل النبوة للبيهقي (٤٥٨هـ) ٤/ ٨٣-٨٤، تاريخ الإسلام للذهبي (٧٤٨هـ) ١/ ٣٥٣، البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤هـ) ٦/ ٢٤٠، إمتاع الأسع للمقريزي (٨٤٥هـ) ١/ ٢٦٦، سبل الهدى والرشاد للصالحي (٩٤٢هـ) ٦/ ١٢٧-١٢٩.

ب - كتب السيرة الحديثة: السيرة النبوية لرزق الله (٤٧٠-٤٧١هـ)، السيرة النبوية للصلاحي (٣٢٤هـ).

ج - كتب الغزوات والسرايا: صالح الحديبية لباشميل (٤١-٤٢هـ)، السرايا الحربية في العهد النبوي لطنطاوي ٨٨-٨٩هـ، فقه السرايا للعيساوي ١١٦-١٣١هـ.

خرائط سريّة مُحَمَّد بنِ مَسْلَمَة ﷺ إلى ذِي الْقَصَّة (١)



أطلس السيرة لأبي خليل ص ١٤٧.

وينظر خرائط سريّة محمد بن مسلمة ﷺ إلى نجد.